وقفاتٌ مع آياتِ

اليومِ الآخِرِ

أُلقيت في ذي الحجة ١٤٣٩

أ. أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزّ وجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

فهرس الجزء الأول

"سلسلة وقفات مع آيات في حجّ ١٤٣٩هـ"

الأخبارعن اليوم الآخر: السّماء

- الوقفة الأولى ٤
- الوقفة الثّانية ٢٠
- الوقفة الثّالثة ٣١
- الوقفة الرّابعة ٤٢

◆ الوقفة الأولى ◆

مع الآية (١٠٤) من سورة الأنبياء

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مبارك على هذه الأمّة المباركة دخول هذه العشر المباركة، اللّهمّ زد وبارك وانفعنا وارفعنا واجعلنا من أهل **الإيمان** ممّن ينتفعون بمواسم **الإيمان**، بمواسم التّقوى، وفرص زيادة **الإيمان** انفعنا بها فتنشرح بها صدورنا، وانفعنا بها يوم أن نلقاك.

مبارك على هذه الأمّة المباركة دخول هذه العشر المباركة، اللّهمّ اجعلها مباركة.

نستفتح في هذه اللّيلة المباركة، اللّيلة الأولى من شهر ذي الحجّة للعام الهجري الشّريف -الهجرة الشّريفة الّتي ملأت الدّنيا نورًا، عام ١٤٣٩- نستفتحها بتذكير أنفسنا جميعًا بركن من **أركان الإيمان**، يتلو مباشرة **ركن الإيمان بالله**، يتلوه في الأهمّية، وقد قال -سبحانه وتعالى-

في مطلع سورة الحجّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[1]

فنناقش خلال هذه الأيّام آيات من كتاب الله، نقف معها، تزيدنا إيمانا خاصّة في هذا الرّكن العظيم:

"ركن الإيمان باليوم الآخر"

ونترك المسألة على ما تيسّر، لكن هذه النّيّة، أسال الله أن يبارك في هذه الجهود وينفعنا ويزيدنا من فضله.

ما هو تعريف الإيمان لغة وشرعًا؟

الإيمان لغة: مشتقّ من إلّامْنِ وطمأنينة النّفس وزوال الخوف فإذا استقرّت المعاني في القلب أمن وذهب عنه الخوف:

ونبدأ في تأكيد أنّ **الإيمان** مشتقّ من إلّامْنِ وطمأنينة النّفس وزوال الخوف، فإذا استقرّت المعاني في القلب أمن وذهب عنه الخوف.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه "الصّارم المسلول"، هذا المعنى فقال: (فإنّ اشتقاقه من الأمن الّذي هو القرار والطّمأنينة وذلك إنّما يحصل إن استقرّ في القلب التّصديق والانقياد)

فالنّفس تكون مطمئنّة إذا صدّقت وانقادت، فهذا أصل المعنى.

---

(١) الحج: ١.

الإيمان شرعًا: إقرارًا باللّسان واعتقادًا بالجنان وعملًا بالأركان و أنّه يزيد وينقص.

ثمّ يضيف **الإيمان** الشّرعي معنى دقيق: فيكون إقرارًا باللّسان واعتقادا بالجنان وعملا بالأركان وأنّه يزيد وينقص.

ماذا نعتقد في مواسم الطّاعات؟

مواسم الطّاعة فرص لزيادة الإيمان:

فهو قول وعمل يزيد وينقص، ونحن نعتقد بأنّ مواسم الطّاعة من فرص زيادة **الإيمان**.

فالحمد لله الّذي جعل هذه المواسم المباركة في شريعته، والحمد لله الّذي مدّ لنا في أعمارنا إلى أن نصلها، ونسأله بمنّه وكرمه كما يسّر لنا بلوغها، أن ييسّر لنا الأعمال الصّالحة ويعيننا عليها، ويقبلها منّا.

إذًا عرفنا أنّ **الإيمان** هو:

- **تصديق بالجَنان.**
- **وعمل بالأركان.**
- **وهو يزيد وينقص.**

ماذا نعتقد في الإيمان باليوم الآخر؟

فمن المسائل المهمّة جدًّا أن نكشف لأنفسنا **إيماننا باليوم الآخر** الّذي هو **يوم القيامة**، اليوم الّذي من المفترض أن تكون النّفوس

مشرئبّة إليه، مشغولة به؛ فإنّ المؤمنين بهذا اليوم، المصدّقين، المعتقدين، المقرّين بأنّ:

- هناك يوم سيبعث الله فيه من في القبور ويحشرهم ويحاسبهم على ما قدّموا في الدّنيا من الأعمال.
- ويعتقدون أنّ الله يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.
- ويعتقدون أنّه في ذلك اليوم يكون العرض على الله -عزّ وجلّ- ونشر صحائف الأعمال، فإمّا قوم يُؤتونها باليمين وإمّا قوم يُؤتونها بالشّمائل.
- وفي ذلك اليوم يوضع الميزان، وتوزن الأعمال.
- ويُسقى من الحوض.
- ويُمدّ الصّراط.
- وتكون الشّفاعة لمن أذن الله له.
- ويدخل قوم الجنّة ويدخل قوم النّار بعد الحساب.

ما هو أثر الاعتقاد في الإيمان باليوم الآخر؟

إنّ من اعتقد هذه الاعتقادات كلّها واستقرّت في قلبه لابدّ أنّه يعمل!

وهو يعلم أنّ السّاعة لا يعلم وقتها أحد إلّا الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١)

ما هو تعريف الإيمان باليوم الآخر؟

وإذا عرفنا أنّ هذا مُجمل ما في **اليوم الآخر** لابدّ أن نعلم بأنّ **الإيمان باليوم الآخر** يبدأ من عند:

إيماننا بفتنة القبر.

إيماننا بعذاب القبر.

إيماننا بنعيم القبر.

ثمّ إيماننا بتفاصيل أحوال المحشر.

كلّ هذا **الإيمان** لابدّ أن يأتي **بعمل**! لابدّ أن يأتي وراءه **عمل**!

---

(١) الأعراف: ١٨٧.

ما هي دلالة اقتران الإيمان بالله واليوم الآخر بالأعمال؟

الإيمان بالله واليوم الآخر قطبين قد اقترنا بالأعمال يدفعان الإنسان للعمل فكان لابدّ أن نقوّي إيماننا بالله وباليوم الآخر:

والعجيب أنّ في **الإيمان باليوم الآخر** خاصّة اقترن **بالأعمال**، فمثلًا: تسمعين في كتاب الله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[1]

وتسمعين: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾[2]

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»[3]

إلى آخر ما نعرف من **اقتران العمل بالإيمان بالله واليوم الآخر**.

فهذا شأن عظيم معناه: مادام أنّ **الإيمان بالله واليوم الآخر** قطبين قد اقترنا بالأعمال فإنّهما يدفعان الإنسان **للعمل**، فكان لابدّ أن نقوّي **إيماننا بالله** ونقوّي **إيماننا باليوم الآخر**.

ما هي دلالة كثرة أسماء اليوم الآخر وتعدّد صفاته؟

لمّا عظُم أمر القيامة كثُرت أوصافها وأسماؤها:

وهذا **اليوم العظيم** كَثُرَتْ أسماؤه وتعدّدت صفاته، وهذا معلوم ففي كلام العرب يدلّ على أنّ هذا الشّيء عظيم؛ ولذلك كثيرًا ما تسمع

---

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) النساء: ٣٩.

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٠٩).

العلماء يضربون مثلًا على ذلك: أنّ السّيف عند العرب عظُم قدره فجعلوا له ٥٠٠ اسمًا! و**القيامة** حين عظُم أمرها كثُرت أوصافها وأسماؤها.

الإيمان باليوم الآخر حافز للخير ومانع عن الشّرّ، ويجعل الإنسان يفكّر كثيرًا قبل أن يتّخذ قراراته:

وطبعًا هذه الأسماء ليس فقط من أجل أن يقع في قلبك التّعظيم وإنّما أكيد ستجرّ شيئًا آخر هذا أكيد! وهو أنّ كلّ اسم يتضمّن صفة، فإمّا أن يأتي اسم **ليوم القيامة** أو يأتي صفة له، فأوّل ما تسمعها تفكّر في المعاني وفي أوصاف ذلك اليوم فتأخذ لبّك؛ لأن **الإيمان باليوم الآخر** حافز للخير ومانع عن الشّرّ، ويجعل الإنسان يفكّر كثيرًا قبل أن يتّخذ قراراته.

على كلّ حال فنحن قد بدأنا بهذه المقدّمة على أمل أن تكون لقاءاتنا المتكرّرة في الأيّام القادمة حول هذا الشّأن، وإذَا تيسّرت الحمد لله ومرّت علينا آيات أخرى نُرزقها فلا بأس.

لكن دعونا نرى كيف أتت الأخبار في القرآن على ما يجري من **السّماء** من الأهوال عند زوال الدّنيا!

الوقفة الأولى مع الآية (١٠٤) من سورة الأنبياء

نسمع الآيات الّتي في سورة الأنبياء الّتي فيها شيء ممّا يجري على **السّماء** من الأهوال عند زوال الدّنيا:

قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾

ما هو معنى سياق الآية (١٠٤) الّذي ورد في سورة الأنبياء؟ ومن أين ابتدأ؟

أتى معنى السّياق في الكلام عن عظمة يوم القيامة ابتداء من الآية (٩٧):

حسنًا، أوّل شيء سنقوم به: بأن ننظر في السّياق الّذي ورد في سورة الأنبياء حيث يبتدئ من الآية (٩٧):

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢)

لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)﴾[1]

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ ويُقصد بذلك **يوم القيامة**.

ماذا سيكون حال النّاس وقتها؟

أتى الكلام عن حيرة قوم ممّا يُشاهدون من الأهوال وذكر مصيرهم هم ومعبوداتهم:

﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ثمّ يُقال لهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾.

فيأتي السّياق معناه: في الكلام عن **يوم القيامة**، وكيف أنّ في هذا اليوم العظيم سيكون قوم شاخصة أبصارهم من الخوف والحيرة والدّهشة ممّا يُشاهدون من الأهوال والشّدائد، ثمّ بعد ذلك تبيّن لنا ماذا سيكون مصيرهم؟ ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾! بل هم ومعبوداتهم أيضًا: ﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ لكن هم وما يعبدون من الأصنام والأوثان سيدخلون نار جهنّم وسيكونون حطبًا لنار جهنّم! وسيكون لهم -والعياذ بالله- زفير: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ يعني: أنين وزفير وشهيق حتّى أنّهم لا يسمع بعضهم أصوات بعض!

(١) الأنبياء: ٩٧-١٠٣.

في المقابل أتى الخبر عن السّعادة وذكر حال أهل النّجاة من النّار مع الملائكة:

في مقابل هذا أتى الخبر عن السّعادة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)﴾.

إذًا هؤلاء الّذين كتبت لهم السّعادة والنّجاة من النّار يكونون مبعدين عنها فلا يسمعون صوت لهيبها، ولا يحزنون من أهوال ذلك اليوم ولا من شدائده، بل يكونون في أمن وسلام.

﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ تستقبلهم وترحّب بهم وتهنّئهم وتقول لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ يعني: في الدّنيا كنتم توعدون هذا الأمر العظيم.

ماذا سيكون حال السّماء في ذلك اليوم العظيم؟

الله يطوي السّماء مثلما تطوي النّاس السّجلّ للكتب:

وتأتي الآية الّتي هي موضوعنا في النّقاش: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ كأنّه يُقال: هذه الأحداث العظيمة، ماذا سيكون حال النّاس وقتها؟ ماذا سيكون حال **السّماء** وحال الأرض؟ أو كأنّه يُقال: تصوّر ماذا سيكون قبل هذا؟ لتتصوّر ماذا سيكون بعد هذا؟

الآن نناقش الآية الّتي تصف ماذا سيكون في ذلك اليوم العظيم: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ يعني الآن مُثّل طيّ **السّماء** بطيّ ﴿السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ يعني: سيكون طيّ **للسّماء**، الله يطوي **السّماء** مثلما تطوي النّاس السّجلّ للكتب!

تعالوا نرى ما معنى أن يطوي النّاس السّجلّ للكتب؟ وقد ذُكر في ذلك أقوال، لكن الّذي يظهر أنّه القول السّديد والبيّن في معناها: أنّ طيّ ﴿السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ مثلما يطوي الإنسان الصّحيفة الّتي يكتب فيها، فتصوّري أنّك تكتبين في ورقة، وهذه الورقة هي السّجلّ، وما تكتبينه في داخلها هو الكتب، فتطويها وتدخلينها في الظّرف مثلًا، وهذا الأمر بالنّسبة لك في غاية السّهولة! لكون أنّ الأمر في متناول يدك، وتحت قبضتك، وتحت تصرّفك.

ما هي دلالة بيان حال السّماء في ذلك اليوم العظيم؟

الله -عزّوجلّ- ينبّه على عظمته ويكشف جانبًا من قدرته:

فتصوّري هذا اليوم العظيم كيف يطوي الله -عزّ وجلّ- **السّماء** بكلّ يسر وسهولة لأنّ الله -عزّ وجلّ- ﴿الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ يعني: في آية الزّمر الله -عزّ وجلّ- قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] ففي آية الزّمر الآن بيان لآية الأنبياء: أنّ النّاس لم يعظّموا الله حقّ تعظيمه بل

(١) الزمر: ٦٧.

فعلوا في دنياه ما يُناقض تعظيم الله! فالله -عزّ وجلّ- نبّههم على عظمته، وكشف لهم جانبًا من قدرته، أنّ: ﴿الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ يعني: هذه الأرض الكبيرة الّتي تراها واسعة مبسوطة، في قبضته **يوم القيامة**، **والسّماوات** واسعة الأرجاء مطويّات سبحانه وتعالى! فالأرض **والسّماء** دائمًا يجب أن تُثير اهتمامنا، فهي آية على عظمة الله وعلى قدرة الله في الدّنيا وما سيحصل لها أيضًا آية على عظمة الله -وهذا هو الّذي نؤمن به ونصدّقه-.

ما هي عقيدتنا تجاه الآيات الدّالة على صفات الله وقدرته؟

طيّ السّماوات صفة عظيمة لله -عزّوجلّ- نثبتها لله ونؤمن بها:

نحن هنا في آية الأنبياء (١٠٤) نؤمن بصفة عظيمة لله -عزّ وجلّ- وهي طيّ **السّماوات**، وأيضًا من آية الزّمر (٦٧) نضيف بأنّ الله -عزّ وجلّ- يقبض الأرض، يعني: نثبت لله صفة قبض الأرض، وهذا يزيدنا تعظيمًا له وانكسارًا بين يديه.

نحن نشهد لربّ العالمين أنّ كلّ هذا عرّفنا إيّاه ودلّنا على كماله:

فنحن نعلم يقينًا أنّه يطوي **السّماء** ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ ويقبض الأرض -سبحانه وتعالى- وقد ورد في الحديث الصّحيح الّذي أخرجه الشّيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ»[1]

وفي الحديث الّذي فيه عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- حين حكى لنا أنّه كيف جاء حبر من أحبار اليهود إلى الرّسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «عَنْ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ضحك لأنّ الحبر أتى بما يوافق ما أتى به النّبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم «فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» آية الزّمر: « ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾»[2]

إنّ الله تَعرّف إلينا بصفاته وتَعرّف إلينا بعجائب مخلوقاته، فهذا كلّه يدلّ على عظمة الله وعظيم قدرة الله وعظيم مخلوقات الله، ونحن نشهد لربّ العالمين أنّ كلّ هذا عرّفنا إيّاه ودلّنا على كماله، إلّا أنّ المعاندين المخذولين -أخزاهم الله- هم الّذين يعاندون في كمال ربّ العالمين! وسيأتي **يوم القيامة** يحكم بين العباد.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٥١).

ما هي آثار الإيمان بعظمة الله وإثبات صفاته على الإنسان المؤمن؟

ونحن في هذه العشر نكبّر الرّبّ -سبحانه وتعالى- ونعظّمه ونشهد رغمًا عنهم بأنّه أكبر من كلّ شيء سبحانه وتعالى.

وفي حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَطْوِي اللَّهُ -عزّ وجلّ- السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»[1]

ملاحظة: هنا لفظة: «بِشِمَالِهِ» في الحديث وهي لفظة شاذّة، لكن كلتا يديه يمين سبحانه وتعالى.

زيادة تعظيم الله والانكسار بين يديه والاستعداد لهذا اليوم العظيم:

حسنا دعونا نؤكّد الآن: حتّى لا نذهب بعيدًا على آية سورة الأنبياء:

الله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ هذا يعني: تقريب لنا وتسهيل حتّى نتصوّر كيف أنّه أيسر ما يكون على الله **يوم القيامة** أن يطوي **السّماوات**، فيقرّب لنا هذا المعنى بما ندركه بتمثيله: لطيّ ﴿السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ لأنّ طيّ الصّحيفة معلوم، وهذا كلّه

(١) أخرجه مسلم (٥١٢٤).

من أجل أن نزداد **إيمانًا** به ويقينًا بعظمته واستعدادًا لهذا اليوم الّذي سيكون كلّ شأن فيه مختلف عمّا اعتدنا، وليكون في قلوبنا تعظيم ربّنا.

ولتكون كلمة:

الله أكبر الله أكبر لا إله إلّا الله

الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

في مكانها، فنعلم أنّ الله وحده المتصرّف في مخلوقاته من **السّماوات** والأرض وكلّ الكائنات، ونعظّمه سبحانه وتعالى، ونعلم أنّه من آثار قدرته وعظمته بأن يطوي **السّماوات يوم القيامة** بعد أن كانت مبسوطة شامخة مرفوعة يطويها سبحانه وتعالى، وهذا الطّيّ صفة لله -سبحانه وتعالى- على ما يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى.

الإيمان بهذا الخبر العظيم يزيد اليقين ويدفع الإنسان للعمل:

وليحصل في قلوبنا تعظيم شأن **يوم القيامة**، يوم آت لا ريب فيه، لابدّ أن نستعدّ لذلك اليوم بما نحمله في قلوبنا من **الإيمان** بذاك اليوم، وهذا **الإيمان** لابدّ أن يكون وراءه عمل يشترك فيه القلب مع الجوارح، فإنّ الإيمان بهذا الخبر العظيم يزيد اليقين.

وقد ذكر الشّيخ السّعدي عند تفسيره لهذه الآية أنّ **السّماوات** تُطوى (على عظمها واتّساعها كما يطوي الكاتب للسّجل أي: الورقة

المكتوب فيها، فتنثر نجومها، ويكوّر شمسها وقمرها، وتزول عن أماكنها)[1]

فكما أنّ طيّ الورقة بالنّسبة للكاتب أمر هيّن فكذلك طيّ **السّماء** بالنّسبة لله في منتهى السّهولة، بل أهون عليه من طيّ الورقة بالنّسبة للكاتب.

إن شاء الله نلتقي في قراءة أخرى لآية من آيات وصف **الآخرة**، ونناقشها بأمر الله.

اللّهمّ انفعنا بما علّمتنا وزدنا علمًا، اللّهمّ آمين.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) تيسير الكريم الرّحمن _ عبد الرّحمن السّعدي _ تفسير الآية (١٠٤) سورة الأنبياء.

◆ الوقفة الثّانية ◆

مع الآية (٣٧) من سورة الرّحمن

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مازلنا مع وقفات من كتاب الله العزيز.

ومازلنا في هذا الموضوع المهمّ وهو **"الإيمان باليوم الآخر"** ولازلنا في حقائق هذا **الإيمان** والكلام عن **الأحداث التي تكون يوم القيامة**.

وقد بدأنا بالكلام عمّا يحصل في **السّماء** ومازلنا نتكلّم عمّا يحصل في هذه **السّماء** الّتي هي خلق عظيم وجرم كبير سميك غليظ من مخلوقات الله جلّ وعلا، ونحن نأخذ كلّ هذه الحقائق من كتاب الله لا نبالي بفكر الملاحدة وفكر الفلاسفة وفكر القوم الّذين يحسبون أنفسهم متنوّرين!

فالنّور نور الله والهدى يؤتيه الله من يشاء، اللّهمّ نسألك في هذه اللّيالي المباركة والأيّام الفاضلة إيمانًا ويقينًا ثقله ثقل جبل أُحد، اللّهمّ آمين.

هذه السّماء المخلوقة العظيمة لعلوّ شأنها وسموّ مكانها قد أتت أخبار كثيرة عنها، طبعًا شأنها عالٍ بسبب دلالتها على عِظم قدرة الله وجلال سلطانه.

كم تكرّر ذكر السّماء في القرآن الكريم؟ وما دلالة تكرار تفاصيلها؟

قد تكرّر ذكرها في القرآن الكريم بلفظها ٣١٠ مرة.

أتى جزء منها مُفرد، يعني: ١٢٠ مرّة بلفظ المفرد **"السّماء"**

و١٩٠ مرّة بلفظ الجمع الّذي هو: **"السّماوات"**

وكلّ هذا التّأكيد على تفاصيل السّماء من أجل أن نتصوّر أنّ هذا جزء من عقيدتنا في وجودها الآن ثمّ بعد ذلك فيما سيكون عليها يوم القيامة.

الله جعل هذه **السّماء** سقفًا لهذا الكون، كما جعل الأرض مذلّلة لسير الخلق: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾[1]

اليوم الآخر والخبر عن انشقاق السّماء

على ماذا يدلّ هذا الانشقاق؟

الانشقاق من دلائل عظمة الله سبحانه وتعالى:

وكما جعل الشّمس والقمر والكواكب والنّجوم زينة لهذه السّماء نورًا وضياء -سبحان ربّي العظيم- ومدّ البحار والمحيطات والأنهار من أجل

(١) البقرة: ٢٢.

أن يتغذّى الخلق، وثبّت الجبال الرّاسيات على الأرض، كلّ هذا من دلائل عظمته سبحانه وتعالى.

ويزداد الإنسان خوفًا حين يعلم أنّ يوم القيامة كلّ هذا العقد المحبوك سينفرط ويحصل -كما يعبّرون- دمارًا شاملًا لهذه المخلوقات بأمر الله خالقها، ويحصل انشقاقًا للسّماء وهذا سيكون موضوعنا في هذه الجلسة المباركة، وأظنّ بأنّ الموضوع سيطول في انشقاق السّماء.

فقد مرّت معنا في الجلسة السّابقة الآية العظيمة الّتي في سورة الأنبياء، وهي تشبيه مثل مضروب لطيّ **السماء** وكيف أنّ ربّ العالمين يطويها بكلّ يسر وسهولة ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[1]

والآن سنتكلّم في هذه الجلسة وربّما في الجلسة الآتية أيضًا عن **انشقاق السّماء**؛ وهذا **الانشقاق** شأن عظيم جدًّا يدلّ على عظمة الله.

(١) الأنبياء: ١٠٤.

الوقفة الثّانية مع الآية (٣٧) من سورة الرّحمن

وسنأخذ أوّلًا ما ورد في سورة الرّحمن في الكلام حول هذا الحدث وهو: **انشقاق السّماء**.

وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ وهذه كلمات عظيمة وتشبيه عظيم يحتاج إلى تفكير. لكن كالعادة لابدّ أن ننظر إلى السّياق الّذي أتت فيه هذه الآية الكريمة، وهذا السّياق يبدأ من الآية (٣١) إلى الآية (٤٥):

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥)﴾

يبدأ السّياق بقوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ وهنا لابدّ أن نؤكّد على عقيدتنا في هذه الآية العظيمة لأنّك حين تسمع: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ قد يظنّ ظانّ أنّ هناك شأن يشغل الرّبّ عن الشّأن،

والحقيقة هذا اعتقاد باطل كما ذكر البغوي: (وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْفَرَاغُ عَنْ شُغْلٍ؛ لأن اللَّهَ تَعَالَى لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، وَلَكِنَّهُ وَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْخَلْقِ بِالْمُحَاسَبَةِ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: لَأَتَفَرَّغَنَّ لَكَ، وَمَا بِهِ شُغْلٌ)[1]

ثمّ حين نلاحظ السّابق: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[2] ثمّ بعد ذلك ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ وكما ذكر أهل العلم أنّ الفراغ يُقصد به القَصْدُ وعلى وجه التّهديد، يعني: قد فرغت لك.

على كلّ حال فهذه هي بداية المقطع: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ثمّ يأتي خبر عن **السّماوات** والأرض مرّة أخرى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ وهذه أيضًا من العقائد المهمّة جدًّا الّتي يجب أن تكون واضحة في أذهاننا وكيف أنّه - سبحانه وتعالى- بيّن أنّ معشر الجنّ والإنس لا يستطيعون أن ينفذوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بمعنى: أن يتجاوزوا ويخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: من جوانبها وأطرافها ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا﴾ ﴿فَانفُذُوا﴾ يعني: إن استطعتم أن تهربوا من الموت ومن الخروج من أقطار **السّماوات** والأرض فاهربوا! واخرجوا!

---

(١) معالم التنزيل ـ البغوي ـ تفسير الآية (٣١) سورة الرّحمن.

(٢) الرحمن: ٢٩.

والجواب: أنّه لا يمكن هذا، فأيّ مكان تنفذون إليه وحيثما توجّهتم كنتم في ملك الله وسلطانه!

على كلّ حال، فلا مهرب لأحد من الله ولا يستطيع أحد أن يتجاوز أطراف **السّماوات** والأرض، ولا أن يخرج منهما، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[1] فهذا حالنا في الدّنيا أنّه لا نستطيع أن ننفذ، وحالنا يوم القيامة.

ثمّ يبيّن -سبحانه وتعالى- ما يكون لأيّ عبد فكّر في ذلك، وخصوصًا هنا فإنّه يُخاطب الجنّ والإنس: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ فالمعنى: أنّ إرسال النّار والنّحاس المذاب على من يفكّر في الهروب بحيث أنّه لا يمكن أن ينتصروا، هذا من دلائل قدرة الله.

وربّما يتعجّب المرء حين يقرأ الآيات الّتي بعدها: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أين النّعمة هنا؟ فهنا إنذار وتخويف لكن المؤمن يعلم أنّ الإنذار والتّخويف أيضًا من آلاء الله الّتي لا يكذّب بها إلّا كافر جاحد، بل الإنذار والتّخويف كهذه الآية فيه أعظم نعمة على العبد؛ لأنه فيه إنذار في دار الدّنيا من أهوال يوم القيامة وهذه من أعظم نعم الله عليه.

وقد ذكر الشّيخ الشّنقيطي -رحمه الله- في أضواء البيان كلامًا جميلًا هنا، يقول فيه: (ألا تَرى أنَّهُ لَوْ كانَ أمامَ إنْسانٍ مُسافِرٍ مَهْلَكَةٌ كُبْرى وهو مُشْرِفٌ عَلى الوُقُوعِ فِيها مِن غَيْرِ أنْ يَعْلَمَ بِها، فَجاءَهُ إنْسانٌ فَأخْبَرَهُ بِها

(١) العنكبوت: ٢٢.

وحَذَّرَهُ مِنَ الوُقُوعِ فِيها، أنَّ هَذا يَكُونُ يَدًا لَهُ عِنْدَهُ وإحْسانًا يُجازِيهِ عَلَيْهِ جَزاءَ أكْبَرِ الإنْعامِ)[1]

يقصد: وهكذا حالنا حين يكون ربّ العالمين رحمنا وقال لنا ماذا سيكون في يوم القيامة؟ وعلى ذلك **في سورة الرّحمن تكرار قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ باعتبار أنواع النّعم: إنعام، موعظة، إنذار، وكلّها ستكون في النّهاية من آلاء الله.**

حسنا إن شاء الله هذا لا يبعدنا عن مقصدنا إلى أن تأتي الآية الّتي هي مقصدنا الآن: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ فهذا أعظم من إرسال الشّواظ على الإنس والجنّ، فإنّ أوّل شيء ممكن ألّا يخاف منه الإنسان ثمّ ذكر ما يخاف منه كلّ واحد ممّن له إدراك من الجنّ والإنس، وهنا حتّى الملائكة **تنشقّ السّماء** الّتي هي مسكنهم!

ونرى إن شاء الله من خلال فهم الآيات -هذه الآية الّتي في سورة الرّحمن وغيرها- كيف يكون هذا **الانشقاق**؟ أو على ماذا يدلّ هذا الانشقاق؟

لقد تبيّن لنا أنّ هذه الآية الّتي تدلّ على انشقاق السّماء وردت ضمن آيات تتحدّث وتخبر عن بعض أهوال يوم القيامة، والأمر واضح في مسألة كون أنّ ذكر هذه الأهوال وبيانها والإخبار عنها نعمة من الله -عزّ وجلّ- لأن النّتيجة ستكون بأنّ العبد يعتبر ويبتعد عن معصية الله، فلذلك وردت في ذكر الآلاء كما تبيّن لنا.

(١) أضواء البيان _ محمد الأمين الشنقيطي _ تفسير الآية (٣٥) سورة الرّحمن.

ما دلالة تشبيه السّماء في انشقاقها مثل الوردة؟

فنأتي الآن نرى كيف أنّ **السّماء** سَتُشَبَّهُ في **انشقاقها** الوردة، فهل الوردة ستكون كالدّهان أو **السّماء** ستكون مثل الوردة ومثل الدّهان؟ هذه الصّورة الآن الّتي نفهمها من الآية أنّ **السّماء** بعد **انشقاقها** ستكون هذه صورتها، فالّذي سيشغلنا الآن أوّل شيء معنى الوردة؟ ومعنى الدّهان؟ وبعد ذلك نركّب المعنى.

فالانشقاق بمعنى: التّفطّر وهذا سيكون يوم القيامة، ومعلوم أنّ **السّماء** حين تتشقّق تصبح أبوابًا تنزل منها الملائكة، فإذا انصدعت يوم القيامة تنزل الملائكة منها وتحيط الملائكة بالخلائق، ستكون هذه هي صورتها، فالشّقّ بمعنى: الصّدع، فيحصل الانفراج.

﴿فَكَانَتْ﴾ فصارت.

﴿وَرْدَةً﴾ وقد ذكر المفسّرون في معناها أقوالًا تنتهي والله أعلم إلى قولين:

- القول الأوّل: أنّها أنثى الفرس، ويكون لها لون الّذي هو لون الكُمَيْت أو الأشقر، يعني: أحمرًا قانيًا، يعني: غامقًا، وفيها شيئًا من الشّقار، والشّقرة في الإنسان حمرة صافية في البشرة مائلة إلى البياض، وفي الخيل تكون حمرة صافية يحمرّ معها ذنب الخيل.

المقصد: أنّ هذا من معانيها، يعني أراد بالفرس الوردة، وقد قيل إنّها إذا كانت في الرّبيع فإنّها تكون مائلة إلى الصّفرة فإذا اشتدّ البرد كانت

وردة حمراء، فإذا كانت بعد ذلك كانت مائلة إلى الغُبرة، فمعنى ذلك: أنّها تتلوّن، ومن هنا قالوا: ﴿كَالدِّهَانِ﴾ أي: وصف للوردة، بمعنى: أنّها تتغيّر وتتلوّن بألوان مختلفة مثلما يتغيّر لون الدّهن. فهذا قول.

- وقول آخر أنّها الوردة المعروفة الّتي هي وردة النّبات والبستان الّتي تُشمّ، والّتي غالبًا ما يكون لونها المعتاد حمراء، فيكون كالوردة في الحمرة.

فإذَا كانت كالوردة في الحمرة فما معنى ﴿كَالدِّهَانِ﴾؟ قيل أنّ الدّهان جمع دهن، بمعنى الزّيت وتصبح **السّماء** ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ أي: حمراء لكن يتغيّر لونها، يعني: مثلما إذَا صَببت الدّهن الذّائب فإنّ لون الدّهن يتغيّر حين تضعه على النّار أو حين تشتدّ عليه الحرارة.

والّذي مال إلى هذا القول أتى بآية المعارج: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾[1] يعني: كالزّيت المُغلَّى فيصبح معنى الدِّهان في الآية: جمع دُهن بمعنى: الزّيت.

على كلّ حال، فإنّ هذا القول أقوى لأنّ له شاهدًا في القرآن الّذي هو دهان، بمعنى: الزّيت، فيصير المعنى: بأنّ **السّماء** يختلف لونها يوم القيامة كاختلاف لون الورد واختلاف لون الدّهن وهو يغلي، هذا قول.

(١) المعارج: ٨.

- وهناك قول آخر: بأنّ الوردة الّتي مُثّل بها تشبه الدّهان، يعني: الله ضرب **للسّماء** مثلًا بصورة وردة حمراء إذا تخيّلنا أوراقها من مادّة ذائبة تشبه الدّهان.

فعلى القول الأوّل تصير **السّماء** مختلفة الألوان مثل الدّهان المختلفة الألوان، وتكون في التّميّع والذّوبان مُذابة كالدّهان، فمعنى ذلك أنّ حمرتها تشتدّ ويكون فيها ألوان، وكذلك تكون مائعة من شدّة الهول.

حسنا أسهل من ذلك نقول: بأنّ لونها سيكون في حُمرة الوردة، وسمكها أو جرمها سيكون في جريان الدّهن، تذوب وتجري كذوبان الدّهن، يعني: حمراء من حرارة جهنّم -نعوذ بالله- وفي ذوبان الدّهن أيضًا من حرارة جهنّم.

المقصد من هذا: أنّ **السّماء** تكون في حال مخيفة لأهل الأرض، فبعد أن تكون متماسكة يشعر النّاس بسقفهم وبقوّة سقف الأرض، تصبح كلون الوردة، وكذوبان الدّهن.

وهذه الصّورة نحتاج إلى أن نقرأ أكثر في كتاب الله لنتصوّر المعنى.

فمثلًا: في سورة الحاقّة الله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾[1] ﴿وَاهِيَةٌ﴾ يعني: ضعيفة متصدّعة.

(١) الحاقة: ١٦.

﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ يعني: فُتحت أبوابًا، وأصبحت واهية، ضعيفة، متصدّعة، متشقّقة، مسترخية، ساقطة القوّة، بعدما كانت محكمة، صلبة، قويّة، غليظة، سميكة.

فآيات سورة الحاقّة تحتاج منّا الحقيقة إلى عودة ونظر فيها لنتصوّر مرّة أخرى مسألة **انشقاق السّماء**.

إلى الجلسة القادمة بأمر الله.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

◆ الوقفة الثّالثة ◆

مع الآية (١٦) من سورة الحاقّة

﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لازلنا نتدارس سويًّا الآيات الّتي أتت مخبرة عن الأحداث العظيمة الّتي ستكون في **يوم القيامة**.

وهذه المدارسة نحتسبها على الله في هذه الأيّام الفاضلة ونرجو من الله أن يجعل بسبب هذا العلم إيمانًا في قلوبنا كجبل أُحُد.

كنّا في الجلسة الماضية قد تناقشنا في **انشقاق السّماء**، وقد ابتدأنا في هذا النّقاش بما ورد في سورة الرّحمن في كون أنّ **السّماء** ستكون كالوردة، يعني: تشبه الوردة في حمرتها، وقد مرّ معنا بأنّ الوردة ممكن تكون أنثى الفرس أو الفرس أو تكون الوردة الّتي هي النّبات، الدّهان كما مرّ معنا أنّه بمعنى: الزّيت وساعدنا على هذا المعنى ما ورد في سورة المعارج: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾[1] كالزّيت الّذي قد أُغْلِيَ.

(١) المعارج: ٨.

الوقفة الثّالثة مع الآية (١٦) من سورة الحاقّة

وبقينا في الكلام حول **انشقاق السّماء**، وكلامنا عن **السّماء** لابدّ أن يمرّ بسورة الحاقّة الآية (١٦): ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ وقد أشرنا إلى معنى ﴿وَاهِيَةٌ﴾ سريعًا لكن دعونا نعود إليه، ونسمع الآيات أوّلًا الّتي في سورة الحاقّة، ونستفيد من هذه الآيات في بيان معالم أهوال **يوم القيامة**، فسنسمع عن النّفخ في الصّور، وعن زلزلة الأرض والجبال، و**انشقاق السّماء** الّتي هي موضوعنا الّذي ابتدأنا به.

نستمع أولًا الآيات ثمّ نتناقش:

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨)﴾[1]

هذه الآيات العظيمة أشارت إلى أحداث عظيمة أوّلها: النّفخ في الصّور ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ فتخرج الأرواح فتدخل كلّ روح في جسدها، يعني: النّاس ينبتون في الأرض كما ينبت النّبات وكما ينبت الشّجر -هذه الأجساد- ثمّ يُنفخ في الصّور فتخرج الأرواح، هناك قول بأنّها محبوسة في الصّور فحين يُنفخ في الصّور فتخرج كلّ روح من الصّور وتلتقي بجسدها فتدخل كلّ روح في جسدها، فإذَا النّاس قيام

(١) الحاقّة: ١٣_١٨.

لربّ العالمين ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ يعني: رُفعتا من موضعهما ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ يعني: ضُرب بعضها ببعض حتّى تَنْدَقَّ فترجع كَثيبًا مَهيلًا، وَهَباء مَنثورًا، فيقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ يعني: **قامت القيامة**.

وفي وقت **قيام القيامة** ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ يعني: بعد إحكامها وصلابتها وقوّتها تصبح ضعيفة ومتصدّعة ومتشقّقة.

الآن من المعاني المهمّة جدًّا هنا: أنّه بعد **انشقاق السّماء** ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ معناها: أنّ ملائكة الله الكرام يكونون على جوانب **السّماء** وعلى نواحيها عند انشقاقها وانفطارها؛ لأنها إذَا انشقّت وهي مسكن الملائكة فيلجؤون إلى أطرافها.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ يعني: ثمانية من الملائكة يكونون في غاية القوّة إذَا أتى -سبحانه وتعالى- للفصل بين العباد والقضاء بينهم، فهذَا من عظمته وجلاله -سبحانه وتعالى- الّذي نؤمن أنّه استوى عليه استواءً يليق بجلاله، نؤمن أنّه **يوم القيامة** ﴿يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ فالملائكة الكرام إذا انشقّت **السّماء** وهي مسكن الملائكة، يلجؤون إلى أطرافها ثمّ ينحدرون إلى الأرض من خلال السّحاب خاشعين خاضعين لله -عزّ وجلّ- فيكونون حول الخلائق في المحشر.

وهذا السّحاب قد ورد ذكره في قوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾[1] **فالسّماء** تتشقّق وتتفطّر **يوم القيامة** امتثالًا لأمر الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[2] فهي لا تستطيع الخروج عن أمر ربّها، فإنّ الله جلّ وعلا خالق كلّ شيء ومالكه وهو القاهر فوق كلّ شيء، وهو -سبحانه وتعالى- على كلّ شيء قدير، لا يُمانَع ولا يُغالَب ولا يُخالَف.

فكما في الفرقان: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ فمن انشقاق **السّماء** وتفطّرها ستنفرج بالغمام وتنزل ملائكة **السّماوات** فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر، ثمّ يجيء ربّنا تعالى وتبارك لفصل القضاء في **يوم القيامة**، ففي هذا الموقف: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾[3] فلا يبقى لأحد من المخلوقين مُلْكٌ وَلاَ صورة مُلْكٍ بل يكونون متساوين.

فالشّاهد الآن: أنّ **السّماء** تشقّق ﴿بِالْغَمَامِ﴾ يعني: عن الغمام، والغمام: سحاب أبيض. وتنزل الملائكة من كلّ **سماء** إلى الأرض، معناها أنّ **السّماء** تتفتّح بغمام أبيض يخرج منها، وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد، وهذا شاهده في سورة البقرة وشاهده أيضًا في سورة الفجر: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[4] وهذا مثل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ

---

(١) الفرقان: ٢٥.

(٢) الانشقاق: ٢.

(٣) الفرقان: ٢٦.

(٤) الفجر: ٢٢.

مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[1] بمعنى: ﴿هَلْ﴾ هنا: استفهام انكاري، بمعنى: أنّهم لا ينتظرون إلّا أن يحصل هذا الأمر: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ والمقصود: للقضاء بين الخلق.

فيأتيهم -سبحانه وتعالى- إتيانًا يليق بجلاله، فهذا فيه تهديد للكفّار بأنّه **يوم القيامة** يأتي -سبحانه وتعالى- للفصل والقضاء بين الأوّلين والآخرين فيجازي كلّ عامل بعمله، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

على كلّ حال فإنّ هذا الوصف لربّ العالمين الّذي هو وصفه -سبحانه وتعالى- بالإتيان في ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ كوصفة بالمجيء في آيات كتاب الله، وكوصف رسوله -صلّى الله عليه وسلّم- له، وهذا مذهب سلف الأمّة وأئمّتها أنّهم يصفونه -سبحانه وتعالى- بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وعندنا أنّ القول في الصّفات كالقول في الذّات، والله تعالى ليس كمثله شيء، يعني: هذه أمور بالنّسبة لمقصدنا تُعتبر أوّليّة لأنّنا لابدّ أن نؤمن بالله، ونؤكّد على الإيمان بالله والإيمان بلقاء الله، وكلّ هذا بالطّريقة الّتي تليق بأهل الإيمان أن يعتقدوها.

المقصد: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ هذا سيكون يومًا عظيمًا، وستنشقّ **السّماء** انشقاقًا -كما مرّ معنا- أنّها تصبح ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾.

---

(١) البقرة: ٢١٠.

ومن الألفاظ التي أتت تشبه الانشقاق كلمة الانفطار ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [١] يعني: كيف تتّقون إن كفرتم في الدّنيا عذاب هذا اليوم العظيم، وهذا اليوم العظيم من وصفه أنّه: ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ يعني: من شدّة أهواله ومن شدّة زلازله يشيب شعر الوِلْدَان.

وممّا ذُكر هنا أنّ: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ يعني: مُنشقّ ﴿بِهِ﴾ يعني: بسببه، يعني: بذلك اليوم ﴿بِهِ﴾ الضّمير (الهاء) عائد على اليوم، يعني: بذلك اليوم أو بسببه، يعني: من شدّته وهوله أنّ **السّماء** تنفطر منه أو به، **فالسّماء** على عظمها وإحكامها تنفطر به، يعني: تنشقّ. فإذا كانت **السّماء** تنشقّ من ذلك اليوم، فكيف ببقيّة الخلائق؟!

إذًا "**السّماء تنشقّ**"، "**السّماء تنفطر**" فكلّ هذه كلمات وُصفت بها **السّماء**، ومثله قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [٢] وقد وقعت هذه الآية في سياق ذكر ما يكون **يوم القيامة** وبها استُفتحت سورة الانفطار ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [٣]

فانفطار **السّماء** بمعنى: انشقاقها، فتنشقّ **السّماء يوم القيامة** - كما مرّ معنا- بالغمام.

---

(١) المزمل: ١٧_١٨.

(٢) الانفطار: ١.

(٣) الانفطار: ٢_٤.

فإذَا انشقّت السّماء وانفطرت، هذا يلزم أن تنتثر النّجوم، ويزول جمالها، ويلحق هذا في الأرض أن تُفجّر البحار، وتُبعثّر القبور، فتخرج الأموات، فيحشرون للموقف بين يدي الواحد القهّار للجزاء على الأعمال.

ففي تلك السّاعة ينكشف الغطاء ويزول ما كان خفيًّا ويحصل أن يعلم النّاس وقتها مَن الرّابح ومَن الخسران؟ وفي هذا الموقف ﴿يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾[1] يرى أعماله باطلة وميزانه قد خفّ والسّيّئات قد حضرت لديه -فنعوذ بالله- يوقن بالشّقاء الأبديّ والعذاب السّرمدي.

وهناك يفوز المتّقون، مَن قدّم لنفسه صالح الأعمال يفوز بالنّعيم المُقيم ويسلم من عذاب الجحيم.

فهذا يوم عظيم يوم القضاء الحاسم، والأمر الجازم ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾[2] ولذلك الله -عزّ وجلّ- قال: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾[3] يعني: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾.

ونعود مرّة أخرى ﴿انفَطَرَتْ﴾ بمعنى: انشقّت، وكلّ هذا يعيدنا على حالة ستكون عليها **السّماء** وهي: الانشقاق، الانفطار.

---

(١) الفرقان: ٢٧.

(٢) آل عمران: ٣٠.

(٣) الانفطار: ٥.

وهذا المعنى أيضًا واضح في سورة النّبأ: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾[1] كما قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[2] معناها: أنّ **السّماء** تُشقّ لنُزُول الملائكة، مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾[3] ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ يعني: تكون ذات أبواب وطرق وفروج، واليوم ما لها من فروج!

وأيضًا ما ورد في سورة المرسلات يزيدنا بيانًا: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾[4] ﴿فُرِجَتْ﴾ يعني: شُقَّت، فُتحت فكانت أبوابًا، انفطرت، انشقّت، فتتدلّى أرجاؤها وتصبح واهية الأطراف، في المقابل هي في الدّنيا الآن ما لها من فروج!

يوم القيامة تُطمس النّجوم وتُمحى، **والسّماء** الّتي هي موضوعنا تُشقّ وتُصدّع، والجبال تُقلع من أماكنها وتُفتّت فتكون هباء منثورًا، وبعدها: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾[5] يعني: رسل الله عليهم الصّلاة والسّلام يُجمعون للشّهادة على أممهم في تلك السّاعة لأنّهم بلّغوا الرّسالة وأدّوا الأمانة.

وهكذا نكون قد وجدنا أنّ السّماء (تُشقّ، وتُفطر، وتُفرج، وتُفتح أبوابًا) كلّ هذه تنويع في التّعبير عمّا يَحصل، فهذه عبارات متنوّعة

---

(١) النبأ: ١٩.

(٢) النبأ: ١٧_٢٠.

(٣) الانشقاق: ١.

(٤) المرسلات: ٨_١٠.

(٥) المرسلات: ١١_١٢.

وأساليب متعدّدة تؤدّي إلى مغزًى واحد، فتقرّر وتؤكّد وتؤصّل ما سيكون في هذا اليوم العظيم.

ونرى أيضًا في سورة الطّور خبرًا آخر عن **السّماء** وهي أنّها تمور: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾[١] والله -عزّ وجلّ- أقسم في مستهلّ سورة الطّور ببعض المظاهر الكونيّة على وقوع عذاب الله على المكذّبين، ثمّ ذكر الميقات الّذي يقع فيه العذاب، وقت وقوع العذاب يوم تمور فيه **السّماء** مورًا، يعني: بشدّة، وتسير فيه الجبال فتصبح هباء منثورًا، فتمور، بمعنى: تنشقّ، تضطرب، وتتحرّك تحرّكًا شديدًا فتتشقّق سبحان الله!

﴿تَمُورُ﴾ مثل الموج، وقد ذكر الطّبري أنّ هذا التّحرّك يكون في استدارة، يعني: تدور بما فيها، تتحرّك وتدور لأنّ المَوْرُ هو: الجريان السّريع، والتّردّد، والدّوران، والاضطراب، فمن هذا نستطيع أن نفهم أنّ معنى الكلمة الكريمة ﴿تَمُورُ﴾ أنّها تُنبئ عن الدّوران، والتّحرّك، وسرعة الجري، والاضطراب، والانشقاق، فالانشقاق من معاني هذه الكلمة؛ وهذا يناسب جدًّا أن تكون ﴿وَرْدَةً﴾.

والله -عزّ وجلّ- يقول في سورة التّكوير: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾[٢] فالكَشط أيضًا بمعنى: نُزعت وطُويت كما يُكشط الغطاء عن الشّيء، فتنزع ثمّ تُطوى، أو يمكن أن يكون المعنى: قُلعت كما يقلع السّقف،

---

(١) الطّور: ٩_١٠.

(٢) التكوير: ١١.

وكُشطت كما يُكشط الجلد عن الشّاة لأنّ أصل الكَشط رفعك شَيْءٍ عن شَيْءٍ قد غطّاه.

وهذا يزيدنا في معنى ما سيحصل للسّماء، فهذا معناه: أنّ السّماء (تُنزع، وتُقلع، وتُرفع، وتُطوى):

- فتُنزع كما يُنزع الجلد.
- وتُقلع كما يُقلع السّقف.
- وتُرفع كما يُرفع ويُكشف الغطاء.
- وتطوى كما تُطوى الصُّحف.

سبحان الله هذه كلّها تفاصيل تحتاج أن نجمع هذه الكلمات في ذهننا:

- ﴿انشَقَّتِ﴾ كما في الحاقّة.
- ﴿تَمُورُ﴾ كما في الطّور.
- ﴿كُشِطَتْ﴾ كما في التّكور.

ففهمنا أنّ هذه السّماء -سبحان الله- تحصل لها أحوال متتابعة تشبه أن تُنزع كأنّها نزع الجلد للأرض، وتُقلع مثلما تُقلع السّقف، وتُرفع وتُكشف كما يُكشف الغطاء، فهذا من عظمة الله سبحانه وتعالى.

إن شاء الله في الجلسة القادمة نعود مرّة أخرى لآيات التّكوير الّتي فيها وصف **السّماء** بأنّها كُشطت ونرى السّياق كاملًا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

◆ الوقفة الرّابعة ◆

مع الآية (٨) من سورة المعارج

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه جلستنا الرّابعة من الجلسات الّتي نقف فيها مع الآيات الّتي نرجو من الله أن تزيدنا إيمانًا بلقائه، وأن يحصل في قلوبنا قوّة اعتقاد في **اليوم الآخر**، وبحثنا كان منصبًّا في الجلسات الماضية حول ما يحصل **للسّماء** من تغيّر، فسمعنا:

أنّها تُطوى كما في آية الأنبياء ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[1] فما أيسر هذه الحال على الرّبّ العظيم الجبّار.

ثمّ سمعنا أيضا كما في سورة الرّحمن أنّ من التّغييرات الّتي تحصل في **السّماء** تأثّرًا بالنّار -والله أعلم- أنّها تصبح: ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[2] وهذا معناه: أنّ لونها يكون مثل الفرس أو مثل الوردة الّتي هي النّبات، الفرس الّتي تكون على حُمرة ويتغيّر لونها أو مثل الوردة المعروفة الّتي هي

(١) الأنبياء: ١٠٤.

(٢) الرحمن: ٣٧.

النّبات، وتكون مثل الدّهن في ذَوَبَانها، فبعد أن كانت سميكة تصبح مثل الدّهن.

ثمّ وصلنا إلى تفاصيل أكثر في **انشقاق السّماء**، وأحسن شيء الآن نجمع الّذي مرّ معنا أوّلًا قبل أن نتكلّم عن آيات التّكوير:

جمع ما مضى لتصوّر الآيات المتّصلة بانشقاق السّماء يوم القيامة

١_ انشقاق السّماء:

فقد عرفنا آية سورة الرّحمن الآية (٣٧): ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾.

وعرفنا أيضًا ما ورد في الحاقّة الآية (١٦): ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾.

ومثله في الانشقاق الآية (١): ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾.

فهذا كلّه يفهّمنا آية الرّحمن الآية (٣٧): ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾.

وأيضًا علمنا أنّ هذا **التّشقّق -تشقّق السّماء-** يكون بالغمام كما في سورة الفرقان الآية (٢٥): ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾.

٢_ انفطار السّماء:

وأيضا تبيّن لنا **انفطار السّماء** كما في قوله تعالى في المزّمّل الآية (١٨): ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾.

ومثله قوله تعالى في الانفطار الآية (١): ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾.

٣_ فتح السّماء:

وسمعنا أيضًا عن **فتح السّماء** كما في قوله جلّ وعلا في النّبأ الآية (١٩): ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾.

٤_ فرج السّماء:

وعن **فرج السّماء** أيضًا كما في قوله تعالى في المرسلات الآية (٩): ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾.

٥_ مَور السّماء:

وسمعنا عن **مَور السّماء** كما مرّ معنا في الطّور الآية (٩): ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾.

٦_ كشط السّماء:

وسمعنا عن **كشط السّماء** كما في قوله جلّ وعلا في التّكوير الآية (١١): ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾.

من لطف الله بنا أن أخبرنا عن هذه الأخبار فوجب شكره عزّوجلّ

- معنى ذلك أنّها: ﴿انشَقَّتِ﴾ ﴿انفَطَرَتْ﴾ ﴿فُتِحَتِ﴾ ﴿فُرِجَتْ﴾ ﴿تَمُورُ السَّمَاءُ﴾ ﴿السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾: فكلّ هذه أحداث تتعلّق **بالسّماء**؛ ومن أهمّ هذه الأحداث أو الحدث الّذي يجمعها كون أنّ **السّماء**: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ فتتحرّك **السّماء يوم القيامة** تحرّكًا سريعًا، وتضطرب اضطرابًا شديدًا، وتدور، فهذا يدخل فيه: **(الانشقاق والانفطار والفتح والكشط)**.

- وأيضًا علمنا أنّ **السّماء** ﴿تَشَقَّقُ السَّمَاءُ﴾ يومئذ عن السّحاب الأبيض.

- وعلمنا أنّ الكواكب والنّجوم يومئذ تتناثر من **السّماء** وتتساقط في التّكوير الآية (٢): ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ وفي الانفطار الآية (٢): ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾

- ونتيجة هذا التّشقّق تصبح مسالكًا وطرقًا كما في النّبأ الآية (١٩): ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾.

- وفهمنا أنّ الملائكة تنزل أفواجًا وجماعات إلى الأرض من طُرُقِ **السّماء** وقتما تنشقّ وتنفطر، فمعنى ذلك: أنّ الأرض تفقد سقفها، فتُقلَع **السّماء** وتُنزع من مكانها كما يُنزع السّقف من البيت ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾.

كلّ هذا يزيدنا تعظيما لربّ العالمين ومعرفة أنّ الأمر سيكون مهولًا، فكيف أنّ السّماء الصّافية تصبح حمراء شديدة الحمرة؟ كيف أنّ السّماء الصّلبة تميع وتذوب وتنصهر مثل الأدهان؟

فهذا الانشقاق هول عظيم، وهذا اللّون وهذه الصّورة من أهوال يوم القيامة الّتي من لطف الله أن أخبرنا عنها.

فيجب شكر الله -عزّ وجلّ- كلّما قرأنا هذه الآيات وعرفنا ما سيكون يوم القيامة لأنّ هذا سيدعو العبد إلى الإقبال على العمل الصّالح، وعلى تخلية الذّهن من شؤون الدّنيا وأحوالها.

فاللّهمّ إنّا نسألك السّلامة والنّجاة من النّار، والفوز بالجنّة ومرافقة نبيّك محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- فيها بفضلك ورحمتك يا أرحم الرّاحمين.

الوقفة الرّابعة مع الآية (٨) من سورة المعارج

٧_ السّماء كالمهل:

وهذه **السّماء** أيضًا تكون **كالمهل** -كما مرّ معنا- في سورة المعارج، فنرى هذا الوصف، وفي أيّ سياق أتى؟ ندرسه بشيء من التّفصيل، ثمّ بعد النّظر للسّياق نزيد هذا المعنى على المعاني الّتي مرّت معنا، نسمع الآيات:

قال الله عزّ وجلّ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ

مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ (١٨) إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩)﴾[1]

هذا السّياق الّذي وردت فيه الآيات بالإجمال في سورة المعارج، وورد الخبر عن **السّماء** أنّها تكون **كالمهل** في الكلام عن أهوال هذا اليوم العظيم، فبدأت السّورة من مطلعها بالرّدّ على الكافرين المتعجّلين للعذاب، وطبعًا هم متعجّلون بالعذاب لأنّهم مكذّبون به!

على خلاف المؤمنين فإنّهم يتأمّلون في الآيات الّتي تُخبر عن تفاصيل هذا اللّقاء العظيم بربّ العالمين وهم متيقّنون يريدون أن تلين قلوبهم وأن تلين أعضاؤهم لطاعة ربّ العالمين، لكن أهل الكفر متعجّلون بالعذاب زاعمون أنّ هذا مستحيل، فجاءت الآيات فيها تأكيد على أنّه واقع عليهم لا محالة، فوُصف ذلك اليوم أنّ **السّماء** تكون **كالمهل**، هذا أوّل وصف وهذا الّذي سيكون موضوعنا، وتكون فيه الجبال مثل الصّوف المنفوش.

(١) المعارج: ١_١٩.

وفي هذا اليوم لا يسأل القريب قريبه عن حاله مع أنّ القريب يرى قريبه! يبصّرونهم! ويعرف بعضهم بعضًا! لكن -الله المستعان- يكون شغل كلّ واحد نفسه فقط ويعرض على الآخرين تمامًا! والكافر -والعياذ بالله- المشرك في ذلك اليوم يتمنّى أن يَفتدي من العذاب بأيّ أحد كان أولاده وزوجته وأخيه وعشيرته الأقربين! وأنّى له ذلك -نعوذ بالله-!

نحن نفكّر الآن في حال **السّماء**، مشغولون نفكّر في حال **السّماء**، هذا اليوم، **يوم القيامة** ويوم وقوع العذاب آتٍ وكلّ آتٍ قريب، **فماذا سيكون من حال السّماء؟**

- **مرّ معنا أنّها تنشقّ.**
- **ومرّ معنا أنّها تنفطر.**
- **ومرّ معنا أنّها تحمرّ.**

طبعًا هذه الآية تشبه كلّ الّذي مضى علينا، وتكون **السّماء كالمهل**، بمعنى: أنّها تكون غاية في الذّوبان والتّلوّن، يعني: تصير **السّماء يوم القيامة** مثل **المُهل**، و**المُهل** قيل أنّه معناه: العَكْرُ من الزّيت وهو الّذي يبقى في أسفله، وقيل أنّ **المُهل** هو الّذي يذاب من النّحاس والرّصاص والفضّة.

والمهمّ أنّ **المُهل** عبارة عن مائع وسائل ولذلك صاحب أضواء البيان يقول: (المُهْلُ شَيْءٌ ذائِبٌ)[1] وهذا يشهد له ما ورد في سورة الكهف: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾[2]

حسنا، هذا الوصف **للسّماء** يدلّ على حرارة عظيمة، ويدلّ على سخونة، ونار جهنّم -والعياذ بالله- تشوي الوجوه من حرّها.

فالسّماء تكون مُذابة، مائعة، سائلة، وهي تشبه ما يكون من طعام أهل النّار وشرابهم، يعني: كلمة **المهل** جاءت أيضًا في طعام أهل النّار وشرابهم: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾[3] وهذا توضيح لشجرة الزّقّوم.

المهمّ أنّ **السّماء** في انحلالها لأجزاء وانفكاكها مثل انحلال الزّيت، فتصبح كما مرّ معنا مُذابة، وهذا الذّوبان مرّة أخرى يشير إلى الحرارة، والذّوبان كما مرّ معنا فيه ألوان من الحرارة، وإذَا كانت **المهل** قد شُبّهت بذائب النّحاس أو ذائب الفضّة فتكون فيها هذه الألوان إلى أن يسودّ لونها وينكدر.

سنعود مرّة أخرى فنقول لأنفسنا: الله -عزّ وجلّ- منّ علينا بأن وصف لنا ماذا سيكون **يوم القيامة**، وهذه **السّماء** الّتي أعظم ما نراه وأصلبه وأوثقه، تصبح من شدّة ما يقع فيها من الأهوال مثل **المُهل**، فتصوّر كيف أنّها ستذوب وتنقشع عن النّاس، فستنقشع عن ماذا؟ وماذا ستكون الحال؟ إذا كانت **السّماء** الصّلبة يحصل لها هذا!

---

(١) أضواء البيان _ محمد الأمين الشنقيطي _ تفسير الآية (٣٧) سورة الرّحمن.

(٢) الكهف: ٢٩.

(٣) الدخان: ٤٥.

والجبال الّتي هي أثقل ما على الأرض تصير كالصّوف المصبوغ، كما سيتبيّن لنا في الجلسة القادمة حين نتكلّم عن الجبال، فهل نستطيع أن نتصوّر الخوف والهلع الّذي سيكون في قلوب النّاس؟

ولذلك فإنّ الّذي سيرونه من أهوال سيجعلهم كما قال ربّ العالمين: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[١]

فنبقى نفكّر ونفكّر في هذا الشّأن: كيف تصبح هذه السّماء مثل عكر الزّيت في انحلال أجزائها؟ وتتفكّك وتتلوّن وتتميّع وتذوب وتسيل؟

كيف يرى الإنسان مثل هذا كلّه؟ ونحن لو اهتزّت الأرض هزّة أرضيّة نشعر بالفزع الشّديد! فقدرة الله الخالق البارئ عظيمة، فلا يغرّ النّاس ما هم عليه من الاستقرار، وليقارنوا دائمًا بين قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٢]

وبين قوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾[٣] متماسكة، صلبة ثمّ يحصل لها هذا الّذي سمعنا، فلابدّ أن يتذكّر النّاس ما يكون يوم القيامة ذلك اليوم العصيب الرّهيب ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٤] فالعاقل السّعيد من وُعظ في وقت

---

(١) طه: ١٠٨_١٠٩.

(٢) الذاريات: ٤٧.

(٣) النبأ: ١٢.

(٤) الشعراء: ٨٣_٨٩.

الاتّعاظ بما وعظه الله به، فليتّعظ بنصح القرآن، وبتذكير القرآن، وليعيد على نفسه دائمًا هذه الصّورة لأنّ هذه التّشبيهات خاصّة الّتي نمرّ عليها، تشبيهات ما يحصل في السّماء بأشياء أنت تعرفها في الأرض، فأنت تعرف الزّيت وتعرف ميوعته، وتعرف النّحاس حين يذوب، أو الفضّة حين تذوب، وهناك تعرف الوردة وتعرف الدّهان، وقبلها تعرف حين يطوي الكاتب كتابه، فهذه كلّها أمثلة معروفة عندنا.

فلا ندع فرصة إلّا ونتفكّر ونتأمّل وننظر في الحالتين: ننظر في السّماء كما أمرنا الله، ونرى ما فيها شقوق، ما فيها فطور، وننظر إلى ما وُصفت به السّماء بعد ذلك وكيف ستكون الحال؟ والسّعيد من وُعظ واتّعظ في الوقت المناسب، والشّقيّ الهالك من أعرض وتولّى وغفل وتعدّى.

ونرجع نذكّر أنفسنا مرّة أخرى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] فالله هو المدبّر لهذه الشّؤون، وهو الّذي أراك الآيات العظيمة فكما نبّهنا -سبحانه وتعالى- على كماله بما ذكر من آياتٍ فإنّه نبّهنا بما سيكون بما ذكر من غُيوبٍ.

(١) الزمر: ٦٧.

فنحن قوم الحمد لله مؤمنون:

- ننظر للآيات الكونيّة الّتي هي مستقرّة الآن ونراها دالّة على كمال الله.

- وننظر للآيات الشّرعيّة وما نُخْبَرُ به أنّه ستكون عليه الدّنيا، ونفكّر، ونفكّر خاصّة في الآيات الّتي قرّب لنا الله -عزّ وجلّ- حال السّماء أو حال الأرض، أو حال الخلق يوم القيامة بأشياء نحن نعرفها في الدّنيا.

- فإذا رأيت وردة حمراء داكنة جدًّا غاية في الحمرة، فقل: (هكذا سيكون لون السّماء يوم القيامة) قل في نفسك! وإذا رأيت نحاسًا ذائبًا أو فضّة ذائبة، فقل: (هكذا ستكون كالدّهان! كالمهل!)، وإذا طويت ورقة كتبتها وأدخلتها في ظرف، فقل: (ما أيسر طيّ السّماوات والأرض على الله!).

نجتمع إن شاء الله ونحن ذاكرين شاكرين في جلستنا القادمة، والحمد لله ربّ العالمين.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته